بيان صحيح الاقاويل

في

تفسير آية بني إسرائيل

. . .

لابي الفضل

الحافظ عبد الله بن محمد بن الصديق

غفر الله له

. . .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الاكرمين ، وبعد فان بعض المعاصرين فسروا آيه بني اسرائيل بما هو بعيد عن معناها ، ولا يجوز ان ينسب الى انه المراد منها ، بل هو من بدع التفاسير التي يجب اجتنابها ، وتنزيه كلام الله عنها .

ولذلك كتبت هذا الجزء لبيان تفسير الآية تفسيرا صحيحا موافقا لما دلت عليه ، ومطابقا لما أخبرت عنه ، حسبما ذكره المفسرون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، والله الموفق والهادي ، وعليه اعتمادي .

قال الله تعالى (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ، ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) .

قوله تعالى : (لتفسدن في الارض مرتين) عن عطية العوفي قال : افسدوا المرة الاولى ، فبعث الله عليهم جالوت فقتلهم ، وافسدوا المرة الثانية ، فقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فبعث الله عليهم بختنصر ، اخرجه ابن ابي حاتم .

وقال ابن عباس : بعث الله عليهم في الاولى جالوت ، فجاس خلال ديارهم وضرب عليهم الخراج والذل فسالوا الله أن يبعث اليهم ملكا يقاتلون في سبيل الله، فبعث الله طالوت ، فقاتل جالوت ، فنصر بنو اسرائيل، وقتل جالوت بيدي داوود عليه السلام ، ورجع الى بني اسرائيل ملكهم ، فلما افسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر ، فخرب المسجد وتبر ما علوا تتبيرا ، قال الله بعد الاولى والآخرة (عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا) قال : فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين ، رواه ، ابن جرير في تفسيره .

وقال قتادة . اما المرة الاولى ، فسلط عليهم جالوت حتى بعث طالوت ملكا ومعه داود فقتله داود ثم رد الكرة لبني اسرائيل (وجعلناكم اكثر نفيرا) اي عددا (فاذا جاء وعد الآخرة) آخر العقوبتين (ليسؤوا وجوهكم) قال ليقبحوا وجوهكم (وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة) قال كما دخل عدوهم قبل ذلك (وليتبروا ما علوا تتبيرا) قال : يدمروا ما علوا

تدميرا ، فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر ، البابلي المجوسي أبغض خلق الله اليه ، فسبي وقتل وخرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب ، رواه ابن جرير ،
وقال ابن زيد في الآية : كانت الاخرة اشد من الاولى بكثير ، فان الاولى كانت هزيمة فقط والاخرة كانت تدميرا ، وحرق بختنصر التوراة حتى لم يترك فيها حرفا واحدا وخرب بيت المقدس ، رواه ابن جرير ·

وقال الضحاك في قوله تعالى (عسى ربكم أن يرحمكم) كانت الرحمة التي وعدهم . بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم رواه ابن ابي حاتم في تفسيره ·

وقال قتادة : (وان عدتم عدنا) فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فهم يعطون الجزية. رواه ابن جرير وابن ابي حاتم في تفسيرهما ·

وكذا قال المفسرون : ان المرتين وقعتا قبل البعثة المحمدية لم يختلفوا في ذلك . وانما اختلفوا فيمن سلط عليهم بسبب الافسادين ، ونقل كلامهم يطول ، فلينظره من اراده في كتب التفسير الآتية : تفسير ابن جرير ، وابن عطية والزمخشري ، والقرطبي والبيضاوي والنسفي ، وابي حيان وابن جزي وابي السعود والسيوطي والجلالين وحاشية الجمل على الجلالين ، وآثرت ان انقل كلام شيخنا ، بالاجازة العلامة الشيخ محمد الطاهر بن

عاشور في تفسيره قال رحمه الله ، والقضاء بمعنى الحكم وهو التقدير ، ومعنى كونه في الكتاب ان القضاء ذكر في الكتاب والمراد بالكتاب التوراة . والتعريف للعهد ، لانه ذكر آنفا ، ويجوز ان يكون الكتاب بعض كتبهم الدينية ، فتعريف الكتاب تعريف الجنس . وهو الاسفار المسماة بكتب الانبياء : اشعياء ، وأرمياء ، وحزقيال ، ودانيال ، وهي في الدرجة الثانية من التوراة . وكذلك كتاب النبي ملاخي والافساد مرتين ذكر في كتاب اشعياء وكتاب ارمياء ، واولى المرتين مذكورة في كتاب ارمياء في الاصحاح الثاني والاصحاح الحادي والعشرين وغيرهما . ويجوز ان يكون المراد بالكتاب: التوراة وكتب الانبياء ولذلك ايضا وقع الاظهار دون الاضمار وجملة لتفسدن في الارض مرتين الى قوله حصيرا ، مبينة لجملة وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب ، وهذه الاية تشير الى حوادث عظيمة ، بين بني اسرائيل وأعدائهم من أمتين عظيمتين ، حوادث بينهم وبين البابليين وحوادث بينهم وبين الروماتيين . فانقسمت بهذا الاعتبار الى نوعين ، نوع منهما تندرج فيه حوادثهم مع البابليين ، والنوع الآخر حوادثهم مع الرومانيين ، فعبر عن النوعين بمرتين ، لان كل مرة منهما تحتوي على عدة ملاحم .

فالمرة الاولى هي مجموعة حوادث متسلسلة تسمى في التاريخ بالاسر البابلي ، وهي غزوات

بختنصر ملك بابل واشور لبلاد اورشليم ، والغزو الاول كان سنة 606 (٦٠٦) قبل المسيح ، اسر جماعات كثيرة من اليهود ويسمى الاسر الاول ، ثم غزاهم ايضا غزوا يسمى الاسر الثاني ، وهو اعظم من الاول كان سنة ٥٠٨ (508) قبل المسيح ، واسر ملك يهوذا وجمعا غفيرا من الاسرائليين واخذ الذهب الذي في هيكل سليمان ، وما فيه من الآنية النفيسة .

والاسر الثالث الصغير سنه 588 (٥٨٨) قبل المسيح. غزاهم بختنصر وسبى كل شعب يهوذ واحرق هيكل سليمان وبقيت اورشليم خرابا يبابا ، ثم اعادوا تعميرها كما سياتي ، (**ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ، ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها**) ثم نفيد التراخي الرتبي والتراخي الزمني معا . والكرة الرجعة الى المكان الذي ذهب منه ، وذلك ان بني اسرائيل بعد أن مضوا نيفا وارتعين سنة في اسر البابليين ، وتابوا الى الله سلط الله ملوك فارس على ملوك بابل الاشوريين .

فان الملك كورش (1) ملك فارس حارب البابليين وهزمهم فضعف سلطانهم ، ثم نزل بهم داريوس ملك فارس وفتح بابل سنة 538 (٥٣٨) قبل المسيح،

---

(1) هو ذو القرنين . ويقال له غوروش

واذن لليهود في سنة 530 (٥٣٠) قبل المسيح ، أن يرجعوا الى اورشليم ويحدثوا دولتهم ، وذلك نصر انتصروه على البابليين اذ كانوا ، أعوانا للفرس عليهم ، والوعد بهذا النصر ، ورد ايضا في كتاب اشعياء في الاصحاحات العاشرة والحادي عشر والثاني عشر وغيرها ، وفي كتاب ارمياء في الاصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ، وقوله : **(وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا)** وهو من جملة المقضي للموعود به ، ووقع في الاصحاح التاسع والعشرين من كتاب ارمياء : هكذا قال الرب اله بني اسرائيل لكل السبي الذي سبيته من اورشليم الى بابل ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها ، خذوا نساء ولدوا بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقلوا ، وقوله : **(ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها)** من جملة المقضي في الكتاب ، وهو حكاية لما في الاصحاح التاسع والعشرين من كتاب ارمياء . وصلوا لاجلها الى الرب لانه بسلامها يكون لكم السلام ، وفي الاصحاح الحادي والثلاثين : يقول الرب ازرع بيت اسرائيل وبيت يهوذا ، ويكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقرض والاهلاك ، كذلك اسهر عليهم للبناء والغرس في تلك الايام ، لا يقولون : الاباء اكلوا حصرما، واسنان الابناء ضرست بل كل واحد يموت بذنبه ، كل انسان ياكل الحصرم تضرس اسنانه .

ومعنى « ان احسنتم احسنتم لانفسكم » : اننا نرد لكم الكرة لاجل التوبة ، وتجدد الجيل ، وقد اصبحتم في حالة نعمة . فان احسنتم كان جزاؤكم حسنا ، وان اسأتم ، اسأتم لانفسكم . فكما اهلكنا من قبلكم بذنوبهم ، فقد احسنا اليكم بتوبتكم فاحذروا الاساءة كي لا تصيروا الى مصير من قبلكم .

(فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)، هذا الكلام من بقية ما قضي في الكتاب بدليل تعريفه بالفاء . والآخرة ضد الاولى . ولم يعدهم الله في هذه المرة الا بتوقع للرحمة ، دون رد الكرة ، فكان ايماء الى أنهم لا ملك لهم بعد هذه المرة . وبهذا يتبين أن المشار اليه بهذه المرة الاخرة ، هو ما اقترفه اليهود من المفاسد والتمرد وقتل الانبياء والصالحين والاعتداء على عيسى وأتباعه ، وقد أنذرهم النبي ملاخي في الاصحاحين الثالث والرابع من كتابه ، وانذرهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ، فلم يرعووا فضربهم الله الضربة الماضية بيد الرومان .

وبيان ذلك : ان اليهود بعد أن عادوا الى اورشليم ، وجددوا ملكهم ومسجدهم في زمن داريوس ، واطلق لهم التصرف في بلادهم التي غلبهم عليها البابليون ، وكانوا

تحت نفوذ مملكة فارس فمكثوا على ذلك مائتي سنة من سنة 530 (٥٣٠) الى سنه 330 (٣٣٠) قبل المسيح ، ثم اخذ ملكهم في الانحلال بهجوم البطالسة ملوك مصر على اورشليم ، فصاروا تحت سلطانهم الى سنة 166 (١٦٦) قبل المسيح ، اذ قام قائد من بني اسرائيل اسمه ميثيا ، وكان من اللاويين فانتصر لليهود وتولى الامر عليهم ، وتسلسل الملك بعده في أبنائه في زمن ملى، بالفتن الى سنة أربعين قبل المسيح ، دخلت المملكة تحت نفوذ الرومانيين وأقاموا عليها أمراء من اليهود كان أشهرهم هيرودس ثم تمردوا للخروج على الرومانيين ، فأرسل قيصر روميه القائد سيسبا نوس مع ابنه القائد طيطوس ، بالجيوش في حدود سنة اربعين بعد المسيح ، فخربت أورشليم واحترق المسجد ، وأسر طيطوس نيفا وتسعين الفا من اليهود وقتل من اليهود في تلك الحروب نحو الف الف ، ثم استعادوا المدينة ، وبقي منهم شرذمة قليله بها الى ان وافاهم الامبراطور الروماني ادريانوس فهدمها وخربها ورمى قناطير الملح على أرضها كي لا تعود صالحة للزراعة ، وذلك سنة 135 (١٣٥) للمسيح ، وبذلك انتهى أمر اليهود وانقرض ، وتفرقوا في الارض ، ولم تخرج أورشليم من حكم الرومان الا حين فتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب سنة 16 هجرية ، صلحا مع

اهلها ، وهي تسمى يومئذ ايليئاء ام ملخصا ، وانما آثرته على غيره من التفاسير لانه حرر الكلام على المرتين، وما ترتب عليها . بما نقله عن كتب انبياء بني اسرائيل وهي موافقة لمعنى الاية ، وموضحة لما فيها مع بيان تاريخ المرتين . بما لا يدع مجالا للشك ، في ان ما قضى الى بني اسرائيل في الكتاب ، قد حصل قبل ظهور الاسلام بمدة لا تقل عن ثلاثمائة سنة .

اذا علم هذا . فاتجاه بعض المعاصرين الآن لتفسير الافساد مرتين باحتلال اليهود لفلسطين ، وحربهم للعرب، خطأ واضح ، وقد رايت رسالة للدكتور السيد ادريس الكتاني اسمها : العرب تحت وطأة الافساد الاول لبني اسرائيل . خطأ المفسرين فيما ذهبوا اليه ، وزعم ان الآية تشير الى حالة اليهود اليوم ، وان هذا من اعجاز للقرآن . ويزعم ان الافساد الثاني سياتي طال الزمان او قصر . فيه ينتصر المسلمون واقول : اعجاز القرآن ثابت بالادلة العقلية والنقلية ، ولا حاجة الى اثباته بهذه الآية ، وقد ابدى كثير من الناس اراء فجة في بعض الآيات ، وزعموها من اعجاز القرآن . مع مع ان القرآن غني عن مزاعمهم ، ودعوى ان المسلمين ، سينتصرون بعد الافساد الثاني ، مجرد امل يدور بخلد قائله ، وليس في الآية اشارة اليه .

ورغم ما ابداه السيد ادريس الكتاني لتاييد رايه . فانه باطل وبيان بطلانه من وجوه .

الاول : ان الله تعالى خبر اليهــود بما قضى اليهم في الكتاب حيــن كان دينهم صحيحــا ، وشريعتهــم قائمــة ، انهــم سيخالفونها بافسادهم ، ويعاقبهــم بتسليــط اعــداء لهــم ، ليــس لهــم ديــن ٠

الثاني : ان الله تعالــى اخبرعنهم انهم قتلوا الانبياء، والصالحيــن وهذا اعظــم الافســاد ، بلا شك ، وفــي الحديــث الصحيــح : « لــزوال الدنيــا اهون على الله من قتل رجــل مسلــم » فكيــف بقتــل الانبياء والصالحيــن ؟ !!!

الثالــث : ان انبيــاء بني اسرائيــل انذروهم بافسادهم الــذي حصل مرتين ، وبالعقوبة عليهما ، وهذا الانذار الــذي وقــع من الانبيــاء كان بوحــي الهــى ...

الرابع : ان الله قال لهم عقــب المره الاولى (ان احسنتم احسنتــم لانفسكــم) وهذا دليــل على أنهم كانوا حينئــذ متمسكيــن بدين صحيح ، وهم الآن كفار مغضــوب عليهم ، لا يتصور منهم احسان عمل ، ولو أمكن وقوعه ، لا يقبل منهم ٠

الخامــس أن الله تعالى ترجى لهم الرحمــة عقب المــرة الاخــرة بقولــه (عسى ربكــم ان يرحمكــم) ، وهذا يــدل علــى انهم كانوا اذ ذاك على امــل ان تنالهــم رحمــه اللــه تعالى ، لتمسكهم بدين موسى عليه السلام ، اما الان فلا يمكن ولا يجوز أن يتوجــه هذا الخطــاب اليهــم لانهم كفار آيسون من الرحمــة ، على ان الضحاك قال في تفسيــر هذه الايــة :

كانت الرحمة التي وعدهم ، بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، رواه ابن ابي حاتم في تفسيره .

السادس : قول الله تعالى لهم في المرة الاخرة (وان عدتم عدنا) يفيد أنهم ان عادوا مرة ثالثة ، يعاقبهم الله .

قال قتادة ، فعادوا ، فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فهم يعطون الجزية . رواه ابن جرير وابن ابي حاتم في تفسيريهما .

السابع : ان الافساد حصل من بني اسرائيل وعوقبوا عليه وسجله التاريخ ، ولتذكرات انبيائهم ، فكيف يزعم زاعمون ان الافساد المذكور في الاية لم يحصل الا في هذا العصر ؟ ! جرأة غريبة لم يسبق لها نظير .

الثامن : ان قول الله تعالى (بعثنا عليكم عبادا لنا) لايفيد أنهم مسلمون ، لان الخلق كلهم عباد لله .

قال تعالى : (ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم) وقال (ان تعذبهم فانهم عبادك ... قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده .. لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ... وهو القاهر فوق عباده ... ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ... ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) والآيات في هذا كثيرة .

التاسع ان الله تعالى اعطى لامتنا المحمدية اسما

خاصا بهـا ، فقـال سبحانه (ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبـل وفـي هـذا) الآيـة .

قـال ابن عبـاس (هو سماكم المسلمين من قبل) اللـه عـز وجـل سماكم . وعـن مجاهد (هو سماكـم المسلمين) قال الله عـز وجل سماكم من قبل في الكتب كلهـا وفـي الذكـر وفي هذا قـال . القـرآن .

وعـن سفيان (هو سماكم المسلمين) قال الله عز وجل (من قبل) قال : في التوراة والانجيـل (وفي هـذا) قال : القـرآن . وعـن ابـن زيـد في الآيه قـال : لم يذكـر اللـه بالاسلام والايمان غـير هذه الامـه . ذكـرت بهما جميعا ، ولم يسمـع بأمـة ذكـرت بالاسلام والايمـان غيـرها وروى ابن ابي شيبـة في المصنـف واسحق بن راهوية في مسنده عن مكحـول : ان النبي صلى الله عليه وآلـه وسلـم قـال : « تسمـى الله باسمين سمى بهما امتـي .هو السلام وسمى امتـي المسلميـن . وهو المؤمـن وسمى امتـي المـؤمنيـن» .

فالآيـه والحديـث والاثـار المذكورة ادلـة قاطعـة فـي ان قول الالـه تعالـى : (بعثنا عليكم عبـادا لنا) لـم يـرد به المسلميـن . وانما اراد قوما حاربـوا اسرائيـل في ذلـك الـزمـــان .

العاشر : ان قول الله تعالى (الـم تـر الـى المـلا من بنـي اسرائيـل من بعـد موسـى اذ قالوا لنبـي لهـم ابعـث لنـا ملكـا نقاتـل في سبيـل اللـه) الآية الى قولـه (وقـد

اخرجنا من ديارنا ، وابنائنا) صريح في أن بني اسرائيل غلبوا على امرهم ، واخرجوا من ديارهم وابنائهم ، بسبب حرب جالوت رئيس العمالقة لهم ، حتى طلبوا تعيين ملك لهم يقاتلون معه أعداءهم ، فلتكن هذه احدى المرتين التي اعاد الله لهم فيها الملك وجعل داوود عليه السلام ملكا عليهم ، ولا نجزم بذلك وان قال به كثير من المفسرين ولكنه احتمال قائم .

الحادي عشر : قول الله تعالى : (وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة) لا يدل على انهم مسلمون ، لوجهين :

الاول : ان لفظ المسجد ، ترجمة عما يسمى عندهم بالكنيسة لان اللغة العبرية ركيكة ، والقرآن العظيم منزه عن الركاكة في جمله والفاظه ، والمحراب لفظ عربي . والكنيسة وان كانت معربة ، ثقيلة في السمع وليس في الفاظ القرآن ثقل ، الا تراه عبر في قوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) بالجمع ولم يقل قلباكما ، لان للتثنية ثقيلة ، والجمع أخف منها ، وعبر بالجمع في اولى الالباب دون اللب لثقله في السمع .

الثاني : ان بيت المقدس ، بناه يعقوب عليه السلام، بعد بناء جده ابراهيم عليه السلام للبيت الحرام باربعين عاما ثم جدد بناءه سليمان عليه السلام ، وكان اسمه

منذ بنائه بيت المقدس أو المسجد ،وتسميته هيكلاً اسم حادث عند اليهود بعد تجديده .

الثاني عشر : التعبير بالاستقبال في قوله تعالى : (**فإذا جاء وعد اولاهما**) هو الحقيقة والواضح ، لان الله تعالى أخبر انه قضى ذلك في التوراة ، وبين نزولها ووقوع ذلك من بني اسرائيل مدة طويلة ، تسمى مستقبلا حقيقة لا مجازا ، فكيف تلغى تلك المدة الطويلة التي تزيد على الف سنة ، ويعتبر الاستقبال، ما حصل الآن ؟ ! هذا تمحل وتكلف شديدان يردهما معنى الاستقبال في اللغة ولما نزلت سورة (**اذا جاء نصر الله**) في حجة الوداع ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « **نعيت الي نفسي** » وتوفي بعدها بمدة لا تزيد على سنتين ، فكان الاستقبال الذي افادته اذا ، حقيقة .

الثالث عشر : حديث الصحيحين « **تقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله** » بعيد عن آية بني اسرائيل بعد الضب من النون ، وانما هو من الاخبار عن الحوادث التي تقع قرب قيام الساعة ، وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة** » وفيه ايضا « **لا تقوم حتى تقاتلوا خوزا**

وكرمان من الاعاجم » وحديث قتال الترك ، ترجم عليه البخاري : باب قتال الترك ، وهو في كتاب الجهاد .

وحديث مقاتلة اليهود ، ترجم عليه البخاري : باب قتال اليهود وذكره أيضا في باب علامات النبوة ، ورواه مسلم في كتاب الفتن ، قال الحافظ في فتح الباري ما نصه : في روايه أحمد من طريق اخرى عن سالم عن ابيه « **ينزل الدجال هذه السبخة ـ اي خارج المدينة ـ ثم يسلط الله عليه المسلمين فيقتلون شيعته حتى ان اليهودي ليختبيء تحت الشجرة والحجر فيقول الحجر والشجرة هذا يهودي فاقتله** » .

وعلى هذا فالمراد وقوع ذلك اذا خرج الدجال ونزل عيسى . وكما وقع صريحا في حديث أبي امامة ، في قصة خروج الدجال ونزول عيسى ، وفيه : « **وراء الدجال سبعون الف يهودي كلهم ذو سيف محلى فيدركه عيسى عند باب لد فيقتله وينهزم اليهود فلا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي الا انطق الله ذلك الشيء فقال يا عبد الله المسلم ، هذا يهودي فتعال فاقتله . الا الغرقد فانها من شجرهم** » اخرجه ابن ماجه مطولا ، واصله عند أبي داود ونحوه في حديث سمرة عند احمد باسناد حسن ، وأخرجه ابن منده في كتاب الايمان من حديث حذيفة باسناد صحيح اهـ كلام الحافظ وأي علاقة بين حديث الدجال وبين آية بني اسرائيل ؟ !!

وبعـد فقد توقفـت مدة في هذا التفسيـر المبتـدع ، بل توقفـت في معنى الآية الكريمـه نفسها . ولـم يظهـر لـي وجـه تفسيرها ، وسئلـت مرة عنها ، فقلـت : لـم يظهـر لـي وجهها ، ولـم افهـمـهـا .

ثم بعـد تامـل وامعـان نظـر ، تبيـن لـي بوضوح معنى الآية كما فسرهـا به علمـاء التفسيـر ، وتبيـن لي ايضـا ان التفسيـر الذي ذكره المعاصرون مثـل الشيـخ عبد الرحيم فوده والشيخ متولي الشعـراوي والشيخ عبد الحميـد واكـد والاستـاذ سيـد قطب والسيـد ادريـس الكتانـي ، باطل جملة وتفصيـلا ، وان الصاقـه بالآية الكريمـة تحريف لمعناها ، وعـدوان على كـلام اللـه سبحانه وتعالـى .

ووجـدتهم غفلـوا عن أمـرهم لو تنبهوا لـه ، لمـا صـدر عنهم ذلك التفسير الباطل ، ولما كتب السيـد ادريس الكتاني رسالـته التـي سماها " العـرب تحت وطـاة الافسـاد الاول لبني اسرائيل ، وايضـاح ذلـك : ان موسـى عليـه السـلام ، حين بعثـه اللـه الى بني اسرائيل ، كانت الوثنيه غالبـة على المنطقة التي بعث فيها من البابـليـيـن وفـارس الكنعانييـن ، والعمالقـة والبطالسـه ، ولمهكن فيهـم مـن يعبـد اللـه ويوحـده ، بل كانوا مجـوسا وعباد الكواكب . فلمـا عـرف بنو اسرائيـل التوحيد الذي جاء بـه رسولهم ، وعبدوا اللـه كما في شريعتهـم ، اظهـر الله عنايتـه بهـم واول ذلـك انه فضلهـم على ذلك العالم الوثني ، وهـو معنى

قولــه تعالــى : (**يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالميــن «1»**) ، ومن عنايتــه بهم انــه انــزل عليهــم التوراه ، فيهــا احكــام وتشــريعــات ، تتناســب مع ظروفهــم ومجتمعهم ، وزاد فــي تكريمهــم ، لاجــل كليمــه عليه السلام ، ووالــى عليهــم بعــث انبيــاء منهــم في كل جيــل يرشدونهــم ويهدونهــم الطريــق القويم، ولما يعلمــه اللــه من خبــث طينتهم وفســاد طويتهــم انذرهم في التوراه وفي كتب الانبــياء بعدها بما يحصل من المخالفات لهــم وبعقــابهــم عــليهــا .

ومن جمله ما انذرهــم به ما ذكره الله تعالــى في قولــه سبحانه (**وقضينا الى بني اسرائــيل في الكتاب لتفســدن في الارض مرتين**) الآيه . وكان عقابهم عليهمــا ان يبعــث عليهم اعــداء وثنييــن لايعرفون اللــه . ولا يخافون عــذابه . ولذلك قال (**بعثنا عليكم عبادا لنــا**) فنكر عبــادا . تقليــلا لشانهم، وتحقيــرا لهــم ، ولــم يكــن تنكيــرهــم ، لاجــل انهــم مــؤمــنون كمــا قيــل .

---

(1) ومن هنا نشــات عند اليهود عقيدة انهم شعــب الله المختــار وهي خطــا . لان اللــه لم يفضل جنسا او شخصــا لذاته وانما فضلــه ما عنده من الطاعــة والاســتقامة ، قال تعالى (**ان اكرمكم عند الله اتقاكم**) وقال سبحانه (**ليــس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمــل سوءا يجــز بــه**) (**وقالــت اليهود والنصاري نحن ابناء اللــه واحباؤه ، قــل فلم يعذبكم بذنوبكم بــل انتم بشر ممــن خلــق**) .

واستمر حال اليهود ، وهم على شريعة موسى عليه السلام ، مدة تزيد على الفي سنة ، حصل فيها الافسادان المذكوران في الآية ، وغيرهما .

فلما جاء الاسلام ، وبعث النبي عليه الصلاة والسلام ، حسدوه واظهروا عداوته ، وحاولوا قتله مرتين ، وتواعدوا مع قريش على محاربته في غزوة الخندق ، فلما اظهروا الكفر الصريح ، والعناد القبيح ، تخلى الله عنهم ، بل غضب عليهم ولعنهم ، وانزل في ذمهم عدة آيات .

منها : قوله تعالى (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) .

وقوله سبحانه : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا) .

وقوله جل شأنه (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقد نفذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية في قتال يهود خيبر والنضير وقريظة ، وصح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير (غير المغضوب عليهم) قال : « هم اليهود » .

وجاء ذمهم أيضا في سورة البقرة والاحزاب والحشر ، والجمعة وغيرها .

فصار اليهود بعد نسخ دينهم ، وكفرهم بالاسلام ، طائفة من الكفار مثل المجوس والمشركين ، بل هم ابغض الى الله من جميع انواع الكفرة ، لايبالي بهم بالة ، فلا يعقل ولا يجوز ان يقول لهم في هذا الوقت (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) لانهم بعد كفرهم لا احسان لهم ولا حسنة ، ولا يجوز ان يقول لهم (عسى ربكم ان يرحمكم) لانهم لا رحمة تلحقهم ، وغلبتهم على بيت المقدس وفلسطين ، سببها ضعف العرب والمسلمين ، وتفرقهم واشتغالهم بشهواتهم ومصالحهم الشخصية ، فلا يجوز ان نتملص من هذه الكارثة التي حلت بنا لضعفنا وتفرقنا وترك معالم ديننا ، ثم نلقي تبعتها على ان القرآن اخبر بها ، هذا لا يجوز ابدا والقرآن بريء مما ينسب اليه براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، فيجب على العرب والمسلمين ان يجتهدوا في تخليص القدس من اليهود لعنهم الله ، وينبذوا من عقولهم وقلوبهم الاماني الفارغه والتفسيرات الملصقه بالقرآن زورا وكذبا ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

* * *

خاتمة

منذ فتح الشام في عهد عمر رضي الله عنه ، لم يكن لليهود دولة في فلسطين . بل كانوا يعيشون فيها اقلية، تحت ذمة المسلمين ، وكانوا متفرقين في بقاع الارض ، وفي القرن الثامن عشر بدات محاولتهم لامتلاك فلسطين والسيطرة عليها . فخاطبوا السلطان عبد الحميد في ذلك واغروه بالمال . فلم يقبل منهم رحمه الله وقال لهم : فلسطين بلد المسلمين ، لا املك التصرف فيها بشيء فحاولوا اسقاطه باطلاق دعايات كاذبة في الصحف والمجلات ، واحدثوا الاضطرابات في تركيا واليونان وغيرهما ضد حكمه ، وضد الخلافة من أصلها ، والتف معهم المغفلون من العرب والمسلمين ، وقامت الحرب العالمية الاولى . فوجدت بريطانيا عدوه الله وعدوة المسلمين الفرصة سانحة لاسقاط الخلافة الاسلامية ، فأثارت شعوب مصر والشام والعراق والحجاز على تركيا، واعدة لهم بالاستقلال بعد انتهاء الحرب ، وطلبت من الامام يحيى ان يثور على تركيا أيضا ويحاربها . فامتنع من ذلك وقال لها : لا أحارب المسلمين . فكان هذا منه موقف اسلاميا مشرفا ، عرفه له المسلمون بالاعجاب والتقدير . وانشأ صديقنا الاديب الفاضل الاستاذ الشيخ مصطفى بو عشرين رحمه الله قصيدة في الثناء على الامام والاشادة بفضله . جاء في مطلعها .

هكـذا هكذا يكون الوفاء فلتعـل الامام خـدي وطاء

وعقـب انتهاء الحرب مباشرة سنة 1918 اخـذ اليهود من وزير خارجية بريطانيا واسمـه بلفـور ، وعـدا باعطائهم وطنـا قوميـا في فلسطيـن ، ولما استقرت الحال بعد الحرب نكثـت بريطانيا بوعدها للعرب ، فاعلنـت تمسكها بالحماية علـى مصر . واحتلـت العـراق وقسمـت الشـام الى اربـع دويـلات أعطت منها سـوريا ولبنـان لفـرنسا ، واحتفظـت بفلسطيـن عنـدها لتسلمهـا لليهـود ، وحطـت في الاردن الاميـر عبد اللـه ابن حسيـن شريـف مكـة ، وسمتها امارة الاردن . وهي اليـوم مملكـة ما اظنهـا تبلـغ مليون نسمـة. وعـرف العـرب حينئـذ ان بريطانيا غـادرة خائنـة لا عهـد لها ولا وفـاء . لكـن بعـد فوات الاوان ، واستمـروا رغـم ذلـك في الثقـة بها والتعامـل معهـا .

وفي سنـة 1925 تقريبـا اعلـن أتاتـرك عـدو اللـه اسقاط الخلافة والغـاء الاسـلام . واعلـن ان تركيـا دولـة علمـانية ، والغـى اللغة العربيه من البلاد التركية ، وابـاح زواج المسلمـة بالنصـراني ، وسوى بين الذكر والانثـى في الميـراث . ومنع السفر الى الحـج متعـا باتا ، وفي سنـة 1937 اجتمعـت شرذمة من اليهود تنتمـي الى عصابات لهـم اجراميـة بقصـد اخـذ فلسطيـن وانتـزاعهـا من العـرب بالقوة ، فتركتها بريطانيـا وتخلـت عنها ، وهي متيقنـة ان اليهـود سيغلبون عليها ، وحصل قتـال بين العرب وشرذمة

اليهـود ، وظهر تخاذل العـرب وخيانة كثيـر منهـم ، وكـان قتالهـم مهزلـة ، ومع ذلـك ورغـم ذلـك كـادوا يصلـون الى تـل ابـيب ، ولكن بريطانيا الصهيونية اقترحت الهدنـة، فـوافـق العـرب ، لانهـم يحبون بريطانيا وينفذون ما تقوله لهـم ، وكانت الهدنـة سبيـلا الـى استيـلاء اليهـود علـى فلسطيـن ، وبعـد انتهـاء الحـرب العـالميـة الاخـيـرة ، اعترفـت الامـم المتحـدة بهـم دولـة في فسلطيـن ، وبعـد الاعتـراف بهـم سمـوا انفسهـم دولـة اسرائيـل ،

هذا عرض موجـز لحركة ، اليهود وحـربهم في سبيل الاستيلاء على فلسطين ، يعلم منـه ان العـرب انمـا قاتلـوا عصابـات من اليهود لا كيـان لهم و لادولـة ولا وطـن ، وهـم الذيـن هاجمـوا العـرب ، وجـاسـوا خـلال الديـار فـي فلسطيـن العربيـة ، بغيـة اخـذها من اصحابهـا الشرعيين .

فتفسيـر الآيـة بهم كما فعـل المعاصرون ، مبنـي على غيـر اسـاس . ثـم ان الآيه الكريمة ، تكلمـت علـى بنـى اسرائيل ، وهـؤلاء الشراذم سمـوا انفسهـم اسرائيـل .

فتفسيـر الآيـة بهـم باطـل شكـلا وموضـوعـا .

وبالـلـه التـوفـيـق

* * *